نحو استثمار فاعل لـ (مشروع التخرج) لدى طلاب البكالوريوس (قسم اللغة العربية بجامعة القصيم نموذجاً)

أ . د. إبراهيم عبدالرحمن المطوع

ملخص البحث:

(مقرر البحث/مشروع التخرج) من ضمن المقررات الرئيسية في مرحلة البكالوريوس في الجامعات السعودية، ويحظى بواقع مختلف عن بقية المقررات، فهو مقرر ميداني مكتبي، يشترك في القيام به أكثر من أستاذ في وقت واحد، ويشرف كل أستاذ على مجموعة صغيرة من الطلاب، ويهدف المقرر . كما في الخطة الدراسية . إلى تنمية وتطوير مهارات الطالب القرائية والكتابية والتحصيلية والفكرية .

وهذ البحث يحاول رصد واقع البحث . تحديداً بحكم تخصصي . لدى طلاب قسم اللغة العربية بجامعة القصيم، وهل تحققت أهدافه؟ وهل ظهرت ثمراته على الطلاب الباحثين ؟ ماهي الأسباب التي قد تفرّغ هذا المقرر من محتواه، فيلتحق الطالب بمرحلة الدراسات العليا وهو لايستطيع الاعتماد على نفسه في اختيار الموضوع، واختبار صلاحيته، ووضع الخطة، والتعرف على المصادر، وكتابته بأسلوب علمي.. مما يضطر البعض منهم أحياناً إلى الاستعانة بـ (السوق السوداء) لإنجاز البحث .

الواقع:

البحث في مراحل البكالوريوس والماجستير والدكتوراه هو بحث يتم تنفيذه تحت مظلة التمرين والتدريب، وهو مثلثٌ مؤلف من ثلاثة أضلاع: الباحث، والمشرف، والموضوع .

ومنذ تأسس قسم اللغة العربية بجامعة القصيم عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م كان (مقرر البحث) من ضمن مواد القسم، ويسبقه ـ كمتطلب أساسي ـ مقرر مناهج البحث، وقد استمرّ على مدى ٣٠ عاماً وهو مقرر على طلاب البكالوريوس في ٣ مستويات، أي يمرّ البحث على الطالب ثلاث مرات، أي يكتب ثلاثة أبحاث خلال دراسته في المستويات ٤ و ٦ و ٨، ومنذ عام ٢٠٠٦م رأى القسم ـ بعد تقليص ساعات القسم ـ أن يكون مقرراً واحداً، في فصل واحد، وأن يُقلّل عدد الطلاب في المجموعة الواحدة رغبة في التركيز مع الطلاب، وفي جودة المخرجات .

ولازال هذا هو الوضع الحالي،إذ يُقسّم طلاب القسم في المستوى الأخير على مجموعات،ولكل مجموعة مشرف من الأساتذة، ولكل مجموعة موضوع مُعتمد من مجلس القسم، حسب تخصص الأستاذ .

وقد يكون الموضوع غير متناسب مع رغبة الطالب وميوله نحو فرع معيّن فقد يكون الطالب يميل إلى الدراسات اللغوية،ويُسجّل في بحث أدبي أو بلاغي، أو العكس، وقد رأى القسم بقاء الحال على ما هو عليه، لأنه من الصعوبة تحقيق رغبات الطلاب في تخصص البحث، ولأن الطالب في البكالوريوس لايزال في فترة الطلب والتعلّم ولم تتشكّل شخصيته المعرفية بشكل دقيق، فيمكن تكليفه ببحث وإن كان غير مناسب لميوله، وجدّية الطالب كفيلةٌ بتجاوز هذ الإشكال، فكم من طالب أبدع بحث تخرج في الأدب أو في البلاغة، ثم اتجه في الدراسات العليا إلى تخصص اللغة أو الصرف وأبدع فيه .

واقع وأنماط العلاقات:

- بين الطالب والمشرف:

في البدء كان الإشراف على هذه البحوث غير محتسب للأستاذ، فهو عمل إضافي يُطالب الأستاذ بالقيام باختيار العنوان ثم رسم خطته ثم توفير مصادره، ثم متابعة الطلاب الذين قد يتجاوز عددهم ٢٠-٢٥ طالبا، وقراءة أبحاثهم ومناقشتها، وبعد انضمام الكلية إلى جامعة القصيم، واستقلال القسم بخطته، أصبح الإشراف على طلاب البحث يُحتسب بـ (ساعة) واحدة ضمن نصاب الاستاذ،

لتحفيز الاستاذ على التفرغ لطلابه وإفادتهم، كما قُلّصت أعداد الطلاب لدى كل أستاذ مشرف بحيث لايتجاوز عددهم عشرة .

كما أصبح للبحث (ساعتان عمليتان) في جدول الطالب، يكون فيه الطالب وأستاذه المشرف متفرّغين، ويقضيان هاتين الساعتين في القاعة الدراسية أو في المكتبة أو في مكتب الأستاذ .

ثم تطور الأمر، فعند المناقشة يستعين القسم بأستاذ متخصص من القسم لمشاركة الأستاذ المشرف في مناقشة الطالب، ومنح الدرجة التي يستحقها .

- بين المشرف والبحث:

يطلب القسم من الأستاذ المُكلّف طرح موضوعين في مجال تخصص الأستاذ للنظر فيهما والتصويت على أحدهما لطرحه للطلاب، وذلك من أجل أن يطمئن القسم مع الأستاذ المشرف على مناسبة الموضوع لقدرات الطلاب ومستوياتهم العلمية، وعلى توافر مصادر البحث ومادته العلمية .

والحقيقة أنه قد يُكلّف الطلاب ببحث فوق مستواهم ـ كمياً وموضوعيا ومفاهيمياً ـ مع افتراض القسم والمشرف أن الطالب قد بلغ من المعرفة والتحصيل ما يجعله قادرا على إنجاز العمل .

أو قد لايتأكد القسم من توافر المصادر والمراجع والمادة العلمية (مدوّنة البحث) قبل إقرار الموضوع، والحقيقة أنه قد تظهر شكاوى من الطلاب حول ندرة مصادر البحث أو صعوبة الحصول عليها، أو صعوبة فهمها، أو عدم كفايتها، مع عجز الأستاذ عن توفيرها.

وقد كان واقع اجتماع الأستاذ بتلاميذه يتم دون ترتيب محدد لا من الاستاذ ولا من القسم، لذا يتفاوت الاساتذة في برمجة هذه الاجتماعات، فمنهم من يضع برنامجاً يوزعه على طلابه مع بداية العمل، حتى موعد تسليم البحث، ومنهم من لا يضع برنامجا واضحا لطلابه، وقد يلتقي بهم في أول العمل ثم يسلمهم الخطة والمراجع، ويتركهم حتى نهاية الفصل، ومنهم من يتقبّل اتصالات طلابه على هاتفه، ومنهم من يمتنع،وظلّ هذا الوضع قائما حتى مدة قريبة إذ أصبحت ساعتا البحث تعامل كأي مادة نظرية، فيسجلها الطالب في جدوله عند أستاذ محدد، ولها موعدٌ، في وقت محدد ويوم محدد.

- بين الطالب والبحث:

من المتوقع أن يشعر الطالب بالغربة والوحشة النفسية حين يُطلب منه كتابة بحث من ٣٠-٥٠ صفحة وهو الذي لم يكن في يوم من الأيام مستعداً لكتابة خطاب إلى العميد أو رئيس القسم .. وإذا كتبه ظهر مليئا بالأخطاء اللغوية والأسلوبية والإملائية، إذ ظل الطالب ـ حتى وصل الجامعة ـ بعيدا عن ممارسة الكتابة، وبعيدا عن التعامل مع المصادر وتصفحها والاقتباس منها، وصياغة الأفكار والمشاعر والحقائق بأسلوبه، فالطالب يدخل تجربة جديدة عليه تماما، وعليه أن يتعامل معها خلال ٣ أشهر، فمنهم من يصرّ على اجتيازها والتعامل معها والاستفادة مما تمنحه له من خبرات، ربما سيحتاجها في مراحل قادمة، في مرحلة الدراسات العليا، أو عندما يُطالب بكتابة بحث أو تقرير، ومنهم من يبحث عن أسهل الطرق لاجتياز هذه التجربة بأية طريقة غير مشروعة، من باب (وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر) .

ونظرا ليأس الطالب من مواجهة إعداد البحث، وكتابته، بسبب ضعف تأهيله وضعف قدراته في الكتابة عموما وفي الكتابة العلمية خصوصا، فإنه رأى أن أيسر الحلول أمامه أن لايولي البحث أهمية، وأن يحاول اجتيازه بأية طريقة .

نتائج هذا الواقع وآثاره:

نجم عن هذا الواقع عددٌ من الآثار والنتائج السلبية، التي تسبّبت في تفريغ هذا المقرر من محتواه، ومن تحقيق الأهداف المنتظرة منه، العلمية منها والتربوية والاجتماعية، فإذا وصل الطالب إلى مرحلة الدراسات العليا اكتشف ـ بعد فوات الأوان ـ أن تأهيله المنهجي والبحثي متواضع، وهو مانلمسه عند تقديم موضوعات الماجستير خاصة، أو عند بدء الباحث العمل في إعداد الرسالة، وما لمستُهُ شخصياً عند باحثين شاركتُ في مناقشة رسائلهم، يظهر عليها الضعف المنهجي والعلمي، أو يظهر عليها أن يداً خارجية تدخّلت في كتابة البحث.

ومن أبرز هذه الآثار:

١. ظهور سوق سوداء لاقتراح الموضوعات ثم رسم خطتها، ثم كتابة البحث بمقابل مادي، وهي في الحقيقة (سوق بيضاء) لأنها تعمل تحت الأضواء، وتنشر إعلاناتها وخدماتها عبر وسائل التواصل، وعبر الانترنت، فهي سوق مكشوفة ومُعلنة في بعض الدول العربية،

كما في الاعلان المرفق، دون محاسبة أو مساءلة.

٢. شجعت هذه السوق على الاتكالية وعلى السرقات العلمية، ونجم عن هذه الحالة (الفساد العلمي)، فتخرج من الجامعة حاملو شهادات وهمية، ومع أول اختبار ومواجهة ينكشف ضعف حاملها، وتتورط الجامعات بهم، فلا وجود لنظام حازم لمساءلتهم ومحاسبتهم، ولا وجود لضمير علمي ومهني لدى حاملها، لتدارك مافاته، لأن الغاية الأولى لديه هي التشبث بوظيفة أستاذ جامعي وحسب.

٣. غياب التواصل الوجداني والنفسي بين الباحث والمشرف،فلم يعد الباحث يتردد على أستاذه، ويتربى منه تربية اجتماعية ونفسية وأخلاقية، فحين يجلس الطالب مع المشرف ٢-٣ ساعات كل شهر على الأقل، يتعلم من خبرات أستاذه وأخلاقه وتعامله، فالبحث ليس أوراقا جامدة تُكتب وحسب، بل هو كيانٌ ومنجزٌ بشريٌ من أبرز مواصفاته أنه: روحٌ وضميرٌ وأمانةٌ وصدقٌ، وتلك تحتاج نماذج بشرية حية للاقتداء بهم وترسّم خطاهم .

استثمار الواقع الحالي للبحث:

إن الواقع الحالي لإعداد وكتابة البحوث في هذه الأيام واقعٌ جميل ورائع ومريح، إذ يلمس الباحث بوناً شاسعاً بين الواقع الحالي والواقع فيما مضى، إذ كان الحصول على كتاب ما يتطلّب وقتاً وجهداً، في حين يمكن الحصول الآن على هذا الكتاب بالمجان وخلال ثوانٍ، فالحصول على المعلومات والمراجع والحقائق والإحصائيات ميسرٌ جداً عن طريق التواصل الالكتروني وغيرها،والتواصل بين الباحثين في المجال الواحد متاح، ومن صور استثمار هذا الواقع:

١. تيسّر الحصول على وسائل الطباعة والتحرير ورسم الجداول والبرامج الإحصائية، بوسائل الكترونية متاحة، فلم يعد الباحث بحاجة - كالسابق - لمعاون أو ناسخ أو كاتب أو مراجع لغوي، فأصبح بالإمكان اعتماد الباحث على نفسه في كتابة وتصميم وإخراج البحث ومراجعته، وهو مايوفر الجهد والوقت والمال أمام الباحث .

٢. أصبح الحصول على المادة العلمية للبحث ميسّراً، حيث تتاح كثير من المراجع والدوريات والصحف والقواميس عبر شبكة الانترنت بالمجان .

٣. وجود منتديات وشبكات تفاعلية علمية رصينة تقدّم المعلومة والإرشاد والخبرة للباحثين، إذ تعرض للباحث في أثناء عمله تساؤلات علمية ومنهجية، فيطرحها على متابعي المنتدى فيأتيه الجواب والنصيحة والمساعدة، من مثل: شبكة الفصيح، ومجمع اللغة العربية الافتراضي .

٤. أتاح البريد الالكتروني التواصل بين المشرف وتلميذه، وبين الباحث وزملائه، وبين الباحث والمؤسسات الثقافية والمكتبات، دون الحاجة إلى الحضور الشخصي، وخاصة مع الطالبات .

توصيات ومقترحات التحسين:

يشترك في النهوض بحل هذا الواقع عدةُ أطراف، وهم: القسم،والأستاذ المشرف، والطالب، فأما مهمة القسم والكلية فيُنتظر منها الآتي:

١. تدريس (المنطق) ومنهجية البحث في التعليم الثانوي والجامعي .

٢. أن تكون كل مادة فيها: جانب نظري بنسبة ٥٠ ٪، وجانب عملي تطبيقي بنسبة ٥٠٪ .. أي بحوث ومقالات وتقارير، وتفعيل قرار لائحة الدراسة الجامعية: أن تكون اختبارات أعمال الفصل بحوثاً صغيرة، مع تخفيف العدد عند الأستاذ ..

٣. لم ألحظ اتخاذ إجراءات أو جزاءات (ولو معنوية) بحق طالب أو بحق مشرف أو بحق كاتب البحث .. رغم التأكيد الرسمي من لدن الجهات الرسمية على مكافحة الغش في البحوث ..

٤. استطلاع آراء الطلاب بعد كل بحث من: الأستاذ المشرف نفسه، ومن القسم العلمي .

٥. يجب ألا يتجاوز عدد الطلبة ١٠ طلاب..

٦. يوضع غلاف البحث الجيد على موقع القسم أو الكلية أو الفيسبوك، ومنح الطالب الفرصة لقراءة موجز عن بحثه في (الأيام العلمية) .

٧. يجب على القسم والمشرف توفير المادة العلمية والمصادر للطلاب بالتصوير إذا كانت المصادر غير متوافرة في مكتبة الجامعة .

وأما مهمة الأستاذ المشرف فمنها:

١. وقوف الاستاذ المشرف مع طلابه نفسيا

ثم علميا وتشجيعهم على البحث للاستمتاع بلذة الإنجاز .. ووضع جدول زمني لخطوات البحث ، وشرح طريقة البدء .. والاستعداد للجلوس مع الطلاب واستقبال تساؤلاتهم .. ويجب ألا نفترض أنهم فاهمون ومدركون للعمل في البحث،فهي (التجربة الأولى للطالب) في حياته .. مع شعوره بالرهبة والقلق..

٢. اكتب لهم مع الجدول كلمات تحفيزية .. وأخبرهم أن الكمال ليس مطلوبا وإنما المطلوب المحاولة والاجتهاد .. وأن مسألة عدد الصفحات ليست بذات أهمية كبيرة.

٣. شكاوى الطلاب من المشرفين،وعدم إدراك الطالب مهمة المشرف، ودوره: فتكثر الشكوى من عدم جلوس المشرف مع طلابه .. وخروج المشرف من الكلية في ساعات البحث إلى أعماله الخاصة ..

٤. النزول لمستوى الطلاب والتواضع معهم، فالخوف من الأستاذ قد يدفعه للكذب .. وكراهية البحث .

٥. تربية الطالب على أن المهم هو التدرب والاعتماد على النفس، وعدم الخجل من الضعف ، وعدم المطالبة بمستوى يفوق قدراتهم .

٦. تشجيع البحوث المتميزة، واحترام شخصية الطالب واختياراته وشخصيته، اجعله يتحمل بعض المسؤولية: ينبغي ألا تكون الرسالة وكأنها (عمل الأستاذ بقلم الطالب).

٧. احتفاظ الأستاذ بنسخة من البحوث الجيدة .

وأما مهمة الباحث فمنها:

١. الإخلاص للبحث، فمن أخلص للبحث، أخلص البحث له، والتفرغ الذهني عند الكتابة مهمٌ جداً، فالكتابة العلمية ليست جهدا عضلياً آلياً يمكن أن يؤديه أي موظف أو كاتب بسيط، بل هو جهد عقلي وذهني يحتاج احتشاداً للذهن والعقل والوجدان، ليكون عملا متميزاً ومشرّفاً لكاتبه .

٢. الكتابة العلمية والإبداعية رياضة للعقل كرياضة الجسم، ولابد من التدرج والتمهل والصبر من أجل اكتساب اللياقة الكتابية، فكم من أديب وكاتب وباحث كانت بداياته الأولى هزيلة مُضحكة، حتى إن كثيرا من كبار الأدباء والباحثين يقول إنني لأخجل أن أقرأ الآن كتاباتي الأولى، بل أتمنى إحراقها، بسبب مافيها من ضعف علمي ومنهجي وأسلوبي.

٣. الكتابة عمل تراكمي تكاملي، فالبحث آخره مرتبط بأوله، وأوله مرتبط بآخره، وكلاهما مرتبط بأوسطه، فجودة النهايات مرتبطة بجودة البدايات، وجودة النتائج وأهميتها مرتبطة بجودة المقدمات والافتراضات، وأهمية التساؤلات مرتبطة بأهمية الأهداف، وجودة التنفيذ مرتبطة بجودة التخطيط، لذا من المهم في البحث - لكي يكون متقناً - أن يبذل الباحث من وقته وطاقته وتفكيره للتخطيط والتحضير وجمع المادة العلمية وتحليلها وفرزها وتصنيفها، ليسهل فيما بعد التحرير والصياغة .

ملحق ١

نموذج إعلان تجاري عن تقديم خدمات البحث

مركز أجياد لخدمات البحث العلمي

يتشرف مركز أجياد لخدمات البحث العلمي بتقديم خدماته البحثية في المجالات الشرعية المختلفة (فقه، سيرة، تفسير، مصطلح حديث، دعوة، أصول فقه، علوم القرآن، لغة عربية،.....).

ويقدم المركز الخدمات التالية للباحثين:

- المساعدة في اقتراح عنوان الرسالة (ماجستير – دكتوراه).
- المساعدة في عمل خطة الرسالة كاملة، بكافة مفرداتها (المقدمة، الأهمية، الأهداف، المنهج، الأدوات، الفرضيات، الدراسات السابقة .....الخ.
- توفير كافة الدراسات السابقة (العربية والأجنبية) الخاصة بموضوع الرسالة.
- المساعدة في إعداد رسالة الدكتوراه والماجستير من المقدمة إلى الخاتمة.
- التعديل طوال فترة الرسالة (من البداية إلى المناقشة).
- المساعدة في إعداد أبحاث النشر والترقية.
- المساعدة في إعداد الإطار النظري للدراسة، والتطبيقي، والتحليل الإحصائي، وتوفير الدراسات السابقة.
- نوفر للباحث كل ما يحتاجه من (كتب، مصادر، مراجع، دوريات، وثائق(.
- البحث في قاعدة بيانات تحتوي على مئات الآلاف من المراجع (كتب، رسائل علمية، دوريات، وثائق،.....).
- صف الكتب بالكمبيوتر من خلال برامج (مايكروسوفت أوفيس –Microsoft office)، ومن خلال برنامج "٢b٢" وهو من أحدث وأقوي برامج الإخراج للنص العربي مع كتابة الآيات بالرسم العثماني.
- التحقيق الشامل لكتب التراث الخاصة بفروع الشريعة الإسلامية، واللغة العربية، مع التصحيح، وتسليم الكتاب جاهزًا للطبع والنشر.
- كما يقدم قسم المخطوطات بمركز أجياد لخدمات البحث العلمي جميع الخدمات (نسخ – مقابلة – تصحيح – صف – تنسيق – تخريج الاحاديث – تحقيق – مع تقديمه مخطوطات نادرة لم تطبع للباحثين).
- ويتكون المركز الدولي للبحث العلمي من اتحاد نخبة الباحثين والخبراء، وأساتذة الجامعات الإسلامية، من مختلف الدول العربية في جميع التخصصات والفروع.

للتواصل:

جوال: .....

البريد الإلكتروني: .....